(اللهم): قراءة لغوية تحليلية في بنية النداء ودلالة الميم

د. فاطمة إغبارية

كثيرًا ما تمرّ الكلمات في حياتنا مرور المألوف؛ نرددها في الدعاء، ونسمعها في الخطب والصلوات، ونحفظها منذ الطفولة دون أن نتوقف طويلًا عند أسرارها اللغوية. غير أنّ اللغة، وخاصة العربية، تخبّئ في أبسط مفرداتها عوالم كاملة من الدلالات والتراكيب والتاريخ اللغوي. وقد يحدث أحيانًا أن يوقظ سؤال بسيط هذه العوالم دفعةً واحدة.

هكذا يحدث عندما يسأل طفل سؤالًا يبدو في ظاهره بسيطًا: نعرف معنى "الله"، لكن ما معنى "اللهم"؟ وما وظيفة الميم في آخر الكلمة؟

عندها يقف المتلقي، مهما بلغ من العلم، لحظة تأمل؛ لأن اللغة العربية – على سعتها – لا تزال قادرة على مفاجأتنا بأسئلة لم نفكر فيها من قبل.

أولًا: البنية اللغوية لكلمة «اللهم»

كلمة «اللهم» في الاستعمال العربي هي صيغة دعاء ونداء لله تعالى. وهي في أصلها تؤدي وظيفة النداء، أي أنها تقابل في المعنى قولنا: يا الله.

لكن ما يثير التساؤل هو: لماذا لم يُستخدم حرف النداء "يا" هنا؟ ولماذا جاءت الكلمة على هذه الصورة الخاصة؟

هنا يدخل التحليل النحوي واللغوي.

يرى جمهور النحاة أن الميم في "اللهم" عِوَضٌ عن حرف النداء "يا".

أي أن العرب إذا قالوا «اللهم» فكأنهم قالوا: «يا الله».

ومن هنا جاءت قاعدة لغوية معروفة عند النحاة:

لا يجتمع حرف النداء مع «اللهم»،

فلا يُقال: يا اللهم، لأن الميم نفسها قامت مقام النداء.

وقد ذكر هذا التفسير عدد من أئمة اللغة، منهم سيبويه والفراء والزجاج وغيرهم من علماء العربية، معتبرين أن هذه الصيغة من خصائص النداء في العربية حين يكون المخاطَب هو الله تعالى.

ثانيًا: الميم بين التعويض والتكثيف الدلالي

إذا كانت الميم عوضًا عن حرف النداء، فإن السؤال الأعمق يصبح: لماذا اختارت العربية الميم تحديدًا؟

هنا تتعدد التفسيرات اللغوية.

يرى بعض اللغويين أن الميم ليست مجرد تعويض صوتي، بل تحمل وظيفة دلالية أيضًا؛ فهي تُشعر بالتكثيف في الدعاء، وكأنها خاتمة صوتية تحمل معنى الالتماس والرجاء.

ومن اللافت في العربية أن الميم كثيرًا ما تأتي في مواضع الجمع أو الشمول، مثل:

هم

كم

تم

ومن هنا ذهب بعض الباحثين إلى أن الميم في "اللهم" قد تحمل معنى الجمع الضمني للدعاء، وكأن الداعي يقول:

يا الله، استجب لكل ما في هذا الدعاء من مطالب.

ورغم أن هذا التفسير ليس التفسير النحوي التقليدي، فإنه يكشف عن بعد دلالي عميق في البناء الصوتي للكلمة.

ثالثًا: فرضيات تاريخية حول أصل الكلمة

طرح بعض علماء اللغة تفسيرًا آخر يرتبط بتاريخ الكلمة وتطورها.

فقد قيل إن أصلها في العربية القديمة قد يكون جملة أطول مثل:

«يا الله أمَّنا بخير»

أو

«يا الله اقصدنا بخير»

ثم اختُصرت العبارة مع الزمن حتى استقرت في صورة «اللهم».

وهذا التفسير يعتمد على ظاهرة لغوية معروفة في العربية تسمى الاختزال الصوتي، حيث تميل اللغة عبر الزمن إلى الاقتصاد في النطق مع الاحتفاظ بالمعنى العام.

ومع ذلك يبقى التفسير الأكثر قبولًا عند جمهور النحاة هو أن الميم عوض عن حرف النداء.

رابعًا: خصوصية «اللهم» في العربية

ما يميز هذه الكلمة أنها صيغة فريدة تقريبًا في العربية.

فهي ليست مجرد تركيب نحوي، بل بنية لغوية مرتبطة بثقافة الدعاء والابتهال.

ولهذا نجدها تتكرر بكثرة في الأدعية:

اللهم اغفر لنا.

اللهم ارحمنا.

اللهم اهدنا الصراط المستقيم.

وفي كل مرة تؤدي الكلمة وظيفة النداء المباشر، لكن بنبرة أكثر خشوعًا واختصارًا.

خامسًا: حين يوقظ السؤال البسيط عمق اللغة

ربما تكمن قيمة هذا السؤال – الذي قد يطرحه طفل أو طالب – في أنه يذكّرنا بحقيقة مهمة:

أن المعرفة لا تُقاس بعدد ما نعرفه من الكلمات، بل بقدرتنا على التأمل فيها.

فالإنسان قد يستخدم كلمة واحدة آلاف المرات في حياته، دون أن يتوقف يومًا ليسأل عن بنيتها أو تاريخها أو سرّ تركيبها.

وهنا يظهر جمال اللغة العربية؛ إذ تكشف عند التأمل أنها ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل نظام فكري وثقافي وتاريخي متكامل.

ولهذا يبقى السؤال البسيط أحيانًا أكثر الأسئلة عمقًا؛ لأنه يفتح أبوابًا لم نكن نظن أنها موجودة.

خاتمة

إن كلمة صغيرة مثل «اللهم» تكشف لنا مقدار الثراء الكامن في العربية:

حرف واحد – هو الميم – يحمل وظيفة نحوية، وإيحاءً صوتيًا، وتاريخًا لغويًا من الاجتهاد والتفسير.

وهكذا تذكرنا اللغة، في كل مرة نتأملها، بأن العلم رحلة لا تنتهي؛

فمهما تعلم الإنسان، سيظل هناك سؤال جديد ينتظر

يوقظه، ويعيده إلى دهشة الاكتشاف الأولى.

الدكتورة فاطمة ابو واصل إغبارية..

دكتوراه في اللغة العربية

الدنمارك